مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 193-204
ISSN:2602-5566 EISSN:2716-8999

دور سوسيولوجيا المعرفة في بناء سوسيولوجيا عربية: تصور تحليلي نقدي

The role of the sociology of knowledge in building an Arab sociology : Analytical conception

بن منصور اليمين[1]*[*]

[1] المركز الجامعي سي الحواس بريكة. (الجزائر).lyamine.benmansour@cu-barika.dz

تاريخ الإرسال: 2022/01/29 **تاريخ القبول:2022/12/04**

ملخص:

كتب الكثير حول واقع السوسيولوجيا العربية في المؤسسات العلمية، وموقعها من الممارسة البحثية ومدى تحكمها في معالجة المشكلات الاجتماعية المطروحة، وأرجعت القضية إلى عديد الأسباب؛ غير أن القضية المعرفية لم تحض بالاهتمام الكافي. القضية التي تتضمن العلاقة الجدلية بين الذات الباحثة والواقع، ففك إشكالية أزمة علم الاجتماع العربي والسعي لتوطينه في البلاد العربية يحتاج إلى التحكم في المعرفة السوسيولوجية و/أو تجاوز الأزمة المعرفية للسوسيولوجيا العربية أزمة الوعي الابستمولوجي، من خلال مقاربة المقولات المعرفية لسوسيولوجيا الاخر وفق سوسيولوجيا الأنا (نقدا وانتقاء)، كحالة أولى لبناء سوسيولوجيا عربية، ثم بناء نموذج معرفي لعلم اجتماع عربي، كما حدث تماما للسوسيولوجيا الغربية حينما وقعت في أزمة معرفية من خلال أعمال كارل مانهايم وماكس شيلر مثلا. فالحالة الراهنة لعلم الاجتماع العربي يمكن تجاوزها بذات الاسلوب. وتقع هذه المهمة على عاتق المؤسسات الاكاديمية والمهتمين بالشأن السوسيولوجي وعلى رأسهم الأساتذة الباحثين المنتمين لأقسام علم الاجتماع في مختلف المؤسسات الأكاديمية العربية.

الكلمات المفتاحية: ابستمولوجيا؛ أزمة الوعي الابستيمي؛ سؤال السوسيولوجيا؛ علم اجتماع المعرفة.

Abstract

Much has been written about the reality of Arab sociology in scientific institutions, its position in research practice and the extent to which it controls the treatment of social problems at hand. However, the epistemological issue was not given sufficient attention. The issue that includes the dialectical relationship between the research subject and reality. To solve the problem of the Arab sociology crisis, it needs to control sociological knowledge and/or overcome the epistemological crisis of Arab sociology, the crisis of epistemological awareness, by approaching the epistemological categories of the sociology of the other according to sociology. ego (cash and pick), As a first case for building an Arab sociology, then building an epistemological model for an Arab sociology of knowledge, just as Western sociology happened when it fell into an epistemological crisis through the works of Karl Mannheim and Max Schiller, for example. The current state of Arab sociology can be overcome in the same manner. This task falls on the shoulders of academic institutions and those interested in sociological affairs, led by professors and researchers belonging to the departments of sociology in various Arab academic institutions.

Keywords: Epistemology; Epistemic Awareness Crisis; Sociological question

[*] المؤلف المرسل

1- مقدمة:

نشأت السوسيولوجيا من محاولة فهم الشأن الاجتماعي والتأثير عليه، وتعد بموضوعها انعكاس لعصرها أكثر من أي علم أخر، بمعنى أنها انعكاس لقيمه وقلقه وللعلاقات الاجتماعية وللمشاكل الاقتصادية والسياسية القائمة.

كما لا تعد السوسيولوجيا كذلك علما محايدا كأي علم أخر. فخصوصية هذا العلم - الذي نهتم به- في حد ذاتها تشكل معوقات معرفية وابستمولوجية نظرا لطبيعة موضوعاته من جهة، ومن جهة أخرى ارتباطها بالواقع الذي نشأت فيه كما بينا سابقا. إذ تجعل الذات السوسيولوجية الباحثة أمام اشكاليات مركبة، تدفعه في أغلب الأحيان إلى تكوين تصورات وهمية وناقصة عنها. ما يجعل إخضاعها لمراقبة ابستمولوجية مستمرة أمرا ضروريا. وتجبرنا اليقظة العلمية بيان الدلالات المعرفية لهذا العلم ومساءلة الواقع الاجتماعي الذي تنتمي إليه باستمرار. فالقوانين الاجتماعية لها هدف محدود في المكان والزمان، وأي مفكر يحاول أن يضع قانونا في علم الاجتماع ينبغي عليه أن يجيب عن جملة من الأسئلة: أين؟ ومتى؟ وفي أي الشروط؟ حيث يرى بوجليه Bouglé عندما طبق طريقة دوركايم أن أفكار المساواة لم تنتشر إلا في المجتمعات الكثيفة بالسكان وبخاصة في المدن الكبرى (بوتول، د.ت، صفحة 123).

والتفكير العلمي يرفض أو ينكر على الباحث إبداء الرأي حول قضايا لا يفهمها، أي حول قضايا لا يستطيع صياغتها بوضوح، فقبل كل شيء يجب معرفة كيفية طرح المشاكل في الحياة العلمية، فإن القضايا والمشاكل لا تطرح من تلقاء ذاتها إنه على وجه التحديد هذا المعنى للمشكلة الذي يعطي علامة التفكير العلمي الحقيقي. وفي هذا المعنى بالضبط تندرج السوسيولوجيا العربية، فحتى في ابسط المشكلات العلمية كتحديد مشكلات البحث، والكتابة البحثية، والنشر والقراءة والإفادة وغيرها، تؤكد بوضوح الازمة التي تعاني منها السوسيولوجيا العربية.

وقد أشار المشتغلين بعلم الاجتماع في الوطن العربي أن السوسيولوجيا العربية لم تكن في مستوى المشكلات الاجتماعية المطروحة رغم ما مر به المجتمع العربي من أحداث اجتماعية وسياسية كبيرة، حيث لم يكن للمهتمين بالسوسيولوجيا في الوطن العربي حضورا لتفسير وتحليل هذه الأحداث. والمشكلات الاجتماعية المرتبطة بها، وهذا يعود حسب وجهة نظري إلى تواضع المستوى المعرفي والمنهجي لدى المشتغلين والمنتسبين لهذا العلم في الوطن العربي. فشرط التفكير الاجتماعي هو وجود نخبة مثقفة أو وسط ثقافي يحاول أن يحلل وأن يتعمق العناصر المباشرة للتجربة، وأكثر من ذلك عليه أن يصنفها بشيء من الحرية دون أن يكون خاضعا لاتجاه ثابت مفروض عليه (بوتول، د.ت، صفحة 10).

إن عالم الاجتماع لا بد أن يكون رجل عمل وفكر ثم عليه أن يحتل الصدارة في ثورة شعبية ضد التخلف والتبعية (العياشي، 2003، صفحة 24). وعليه بالدرجة الأولى فرض نفسه كعالم خلاق مساهمة في إرساء أسس التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي (ناجي، د.ت، صفحة 14).

ويجمل حجازي (1989) القول فيما سبق بقوله: "يهدف أي جهد في علم الاجتماع إلى القيام بوظيفتين، أولاهما وظيفة علمية، تتمثل في إرساء قواعد العلم والعمل على تقدمه، وتوفير فهم موضوعي للواقع الاجتماعي. والوظيفة الأخرى وظيفة اجتماعية تتحقق بالإسهام في رفع وعي الإنسان بنفسه ومجتمعه والعالم والكون، وترشيد تعامله معها" (حجازي، 1989، صفحة 13).

وقد حظي موضوع أزمة السوسيولوجيا العربية –أو أزمة التنظير والتحليل- بالاهتمام الواسع على الأقل منذ النصف الثاني من القرن الماضي -منذ فكر ابن خلدون، وانتدب لهذه المهمة العسيرة العديد من المهتمين بالسوسيولوجيا العربية تنقيبا ومواصلة للحفريات الابستمولوجية ومساءلة للتراث السوسيولوجي ومحاولة تأسيس ممارسة بحثية متصالحة مع الذات الباحثة من جهة وموحدة للرؤية من جهة أخرى نحو الخلل الحقيقي في الممارسة البحثية السوسيولوجية العربية. ونذكر في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر، المؤلفات العديدة لمركز الوحدة العربية. المؤتمرات العلمية (مؤتمر بغداد سنة 1981، مؤتمر تونس سنة 1985، وغيرها). والمنشورات العلمية (مقالات بمجلات علمية، كتب ..).

وهي ذات الدوافع التي دفعتني لكتابة هذا المقال من جهة ومن جهة أخرى أن السوسيولوجيا المتداولة في الوطن العربي لم تساهم في تقدم المجتمع العربي، بل ساهمت في تكريس التخلف والتبعية والتجزئة.

فقضايا اجتماعية عديدة يختزنها الواقع الاجتماعي العربي كالديمقراطية والهيمنة الذكورية والتعليم وغيرها، مستعصية على الدراسة والتحليل والوصول إلى نتائج. من جهة لخصوصية وتفرد وتميز الواقع الاجتماعي العربي، ومن جهة أخرى أن المعرفة السوسيولوجية المعتمدة في تفكيك هذه القضايا ليست صورة للواقع الاجتماعي بل أدوات لمقاربة هذا الواقع، وكما هو معروف كل أداة يتحكم فيها منتجها (جسوس، 2003، صفحة 46). وبالتالي يواجه الباحثين وموضوعاتهم هوة عميقة بين ما ينتجه علماء الاجتماع من أبحاث ودراسات وواقع المجتمعات. أدى إلى غياب علم الاجتماع نابع من صميم الحياة الاجتماعية للمواطنين في العالم العربي. (ملكاوي، 2021، صفحة 135). فقد برهنت التجربة أنه من الصعب استعمال أدوات تحليل (النظريات الغربية) مستوردة من حضارة أخرى (الحضارة الغربية) في بحوث محلية (البيئة الاجتماعية العربية)، وغير ملائمة لبيئتنا كونها جردت من إطارها الاجتماعي والتاريخي، وانفصلت عن مسار تكوينها المعرفي

(الابستمولوجي). فالنظريات الغربية قد نتجت عن علاقتها بعاملين أساسيين: خصوصية مجتمعاتها وقضاياها الاجتماعية التاريخية، وخصوصية الحقل المعرفي الذي نمت داخل وطورت قضاياها النظرية المحددة. فمن الالتباس التاريخي الاعتقاد في استيراد هذه النظريات الغربية واغفال العاملين السابقين المتحكمين فيها. (الكنز، 1989، الصفحات 100-101)

يمكن أن تعرف العلوم الاجتماعية العربية فلسفة أنوار، ليس بالضرورة كتلك التي عرفتها العلوم الاجتماعية الغربية والتي جاءت كردة فعل للأزمة السياسية الاجتماعية التي خلقها رجال الحكم والكنيسة هناك؛ لذا كانت هذه العلوم علمانية النشأة وبعيدة عن القيم الدينية والأخلاقية، كما أنها نشأت بمحاكاة تامة للعلوم الطبيعية، وقد أدى ذلك إلى تجزئة الظواهر الاجتماعية، ثم تحولت العلوم الاجتماعية الغربية إلى علوم قومية تخدم المصالح القومية لأصحابها.

والتساؤل المطروح:

-كيف نبني سوسيولوجيا عربية أقل استلابا وأكثر تكيفا مع خصوصية المشكلات المطروحة في الواقع الاجتماعي العربي؟.

-هل يمكن أن تساهم سوسيولوجيا المعرفة في إحداث ديناميكية فكرية لإفراز تفكير سوسيولوجي عربي؟.

2- تحديد المفاهيم:

1.2- تعريف الابستمولوجيا:

لغويا: Epistémologie مصطلح يوناني يتألف من شقين: Epistémé وتعني علم، وLogos وتعني: علم، نقد، دراسة، نظرية...، وعليه فالابستمولوجيا في الاشتقاق اللغوي هي: "علم العلوم" أو "الدراسة النقدية للعلوم". (الجابري، 1994، صفحة 18).

اصطلاحا:

-يعرف لالاند Lalande في معجمه الفلسفي الابستمولوجيا بأنها: "فلسفة العلوم"ثم يضيف: "ولكن بمعنى أكثر خصوصية، فهي ليست بالضبط دراسة المناهج العلمية، هذه الدراسة التي هي موضوع الميتودولوجيا والتي تشكل جزءا من المنطق، وليست كذلك تركيبا أو استباقا للقوانين العلمية، وإنما هي أساسا الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم، ولفرضياتها ونتائجها، بقصد تحديد أصلها المنطقي (لا السيكولوجي) وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية" (الجابري، 1994، صفحة 37).

-الابستمية أو النظام المعرفي هو جملة من المفاهيم والمبادئ والإجراءات تعطي للمعرفة في فترة تاريخية ما بنيتها اللاشعورية. أو هي النظام المعرفي في ثقافة ما هو بنيتها اللاشعورية (الجابري، 1994، صفحة 37).

-الابستمية كما يقول (برنارد هنري ليفي): "الأرضية التي تقوم عليها معرفة عصر معين ومجاله المرئي، والمرتكز الثابت الذي يوزع خطاباته، أي الفضاء الذي تنتشر فيه موضوعاته، وقانون تواتر مفاهيمه، ونظام توزع مشاكله، وقاعدة توزع أساليبه، أي فرش من الاكراهات المغلقة وغير المتحددة الملامح، التي تسم من قبل كل خطاب" (العيادي، 1994، صفحة 19).

2.2.أزمة الوعي الابستيمي: هو عجز النظام المعرفي لفترة زمنية معينة على التنظير الابستمولوجي، من خلال عدم قدرته على طرح سؤال الحاضر والراهن المؤسس للسؤال الابستمولوجي. وهي الحالة التي يعيشها النظام الفكري العربي، فثقافته عاجزة عن إدراك شروط وجودها، وعن طرح الاسئلة التي تسمح لها من تحليل الشروط التي أوجدتها. (حنطابلي، 2008، صفحة 33).

3.2.السؤال السوسيولوجي: هو سؤال الواقع، والذي ينبع من خلال الوعي الابستيمي، ذلك الوعي الذي يجعل الفكر يرجع إلى واقعه الذي أدى إلى وجوده، هو السؤال التاريخي الذي ينبع من الحاضر العيني للذات العارفة فالعالم العربي منذ عصر النهضة وجد نفسه يجيب عن أسئلة يطرحها عليه حاضر الآخر أو ماضي الآنا وبالتالي كانت كل طروحاته مغتربة عن حاضره. (حنطابلي، 2008، صفحة 32) .

4.2. علم اجتماع المعرفة: (معارك، 2017). تخصص يبحث في المجتمع ونشأة أفكار الجماعات وهو يتضمن كل حقل فكري (معرفة، أفكار، نظريات، عقليات) كمحاولة لفهم كيفية قيام الحياة العقلية لجماعة من الناس في سياق الجماعات والمؤسسات للأفراد الذين يعيشون ويعملون. بمعنى أنه لا يهتم بالتركيب الاجتماعي إلا من الناحية المعرفية المرتبطة بفكر المجتمع وتجلياته في الواقع.

يهتم بالمجتمع من حيث هو عبارة عن مؤسسة تتحكم في تشكيل وتطوير أطر المعرفة. ذلك أن المجتمع فقط من يستطيع وإنتاج المعرفة وإبراز الحقيقة.

يهتم بالعلاقة بين الفكر والمجتمع، وبين المعرفة والبناء الاجتماعي. أما من ناحية المنهج فيعتمد علم اجتماع المعرفة على المنهج الاركيوابستمولوجي (البحث عن الأصول التاريخية للمعرفة الاجتماعية)، مهمتها التنقيب عن أصول المعرفة داخل العوامل التاريخية والاجتماعية.

وعلم الاجتماع المعرفة هو اندماج الابستمولوجية مع علم الاجتماع، غرضه الوصول إلى نمط التفكير الذي يطبع المجتمع بشكل عام، دون إقصاء أي مظهر من مظاهر الإبداع الاجتماعي في بناء المعرفة سواء كانت علمية أو غير علمية.

وإذ يهتم علم الاجتماع المعرفة بالطريقة التي تتطور بها الأفكار الاجتماعية، يكشف كذلك عن العوائق التي تقف أمام تقدم المعرفة. (معارك، 2017، صفحة 494).

3. واقع علم الاجتماع في الوطن العربي وفي الجزائر:

عرف العرب حالة استثنائية متمثلة في التخلي عن الإرث الخلدوني باعتبارهم ورثته الشرعيون، وحصل عليه الغرب وطوروه واستثمروا فيه، هذه الحالة الاستثنائية كانت أصل الأصول في بداية الإشكالية، ومظهر من مظاهر سقوط النهضة العربية. ثم كانت نقطة الانطلاق خاطئة، وهي استيراد العلم اجتماعي من الغرب كما لو أنه سلعة تجارية تخضع للاستيراد والتصدير بلغة بورجوازية، وتم ترجمته إلى برامج في الجامعات ونسخها في البحوث الميدانية.

إن العلم للتراكم والحوار الحضاري والإبداع، ويخضع لرؤية نقدية لمنجزات الأخر باستمرار، وهذا ما شوه مسار علم الاجتماع في الوطن العربي وفي الجزائر أيضا. وجعله في أزمة عميقة أكثر عمقا من الأزمة التي يعانيها في الغرب. إذ الأزمة التي يعيشها علم الاجتماع في الوطن العربي عموما هي أزمة معرفية بالأساس.

أما واقع علم الاجتماع في الجزائر ورغم أن أغلب الدراسات حول هذا الموضوع أشارت إلى قضايا تنظيمية، مؤسساتية، ذهنية تسييرية...(نذكر منها على سيبل المثال لا الحصر، مقالات لجمال معتوق حول واقع السوسيولوجيا في الجزائر، والتي تطرق فيها إلى جملة من المشكلات التي تواجه أقسام علم الاجتماع عبر التراب الوطني، العياشي عنصر، نحو علم الاجتماع نقدي..)، إلا أن القضية المعرفية لم تطرح بقوة وهي القضية المحورية في معالجة أزمة علم الاجتماع في الجزائر.

فالإجابة عن سؤال لماذا لم يحض علم الاجتماع في العالم العربي بالاهتمام المناسب، نقول أن المهتمين أو من يأخذون على عاتقهم مسؤولية الانشغال بهذا العلم في الجزائر –وهم بطبيعة الحال الأساتذة الباحثون في علم الاجتماع في المؤسسات الاكاديمية العربية لكي نكون أكثر تحديدا- أن يتحملوا المسؤولية وأن يبادروا إلى تخليص هذا العلم من هذه الوضعية. فواجبهم الأساس هو الانصباب على الإنتاج المعرفي السوسيولوجي الجاد، واستغلال مدرجات الجامعة لشرح وشحن همم الطلبة وإذكاء حسهم السوسيولوجي، فالهدف منه ليس فقط إتقان التعليم في هذا المجال، بل التمكن من الحصول على الأدوات اللازمة لمعالجة قضايا واقعنا الذي يختلف في تكوينه على واقع المجتمعات الغربية، لإبراز مكانة هذا العلم في الرقي بالحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى إعطاء هوية سوسيولوجية لعلم اجتماع جزائري من خلال النقد الابستمولوجي للمحتوى السوسيولوجي (على المستوى النظري والمنهجي) سواء سوسيولوجيا الانا أو سوسيولوجيا الاخر.

بإمكان الممارسة النقدية المتواصلة عبر الأجيال للمحتوى المعرفي للسوسيولوجيا بصفة عامة أن ترفع من مكانة علم الاجتماع في الوطن العربي وفي الجزائر. فالأهمية لا تكمن في كمية

المعرفة بقدر ما تهم نوعيتها، لذلك تطرح بقوة قضية الاهتمام بعلم الاجتماع المعرفة في الجامعات العربية لبناء نظرية معرفية ذات هوية محلية.

4.**أزمة العلم وعلاقتها بالنقد الابستمولوجي**:

تنشأ الأزمة في العلم في حالة وجود مفاهيم هي بذات الوقت موضوع للحديث الفكري والحديث العلمي على السواء، نتيجة لهذا فإن المفكرون يكوّنون عن مثل هذه المشكلات تصورا وهميا وناقصا، فيتحدثون في هذه الحالة عن وجود "أزمة" في العلم. فعدم تطابق الأفكار والتصورات المبنية حول موضوع معين مع المقولات العلمية القائمة التي تتناول هذا الموضوع يخلق أزمة.

ووهمية ونقصان هذا التصور يأتيان من صفته الذاتية، فالأزمة التي يتحدث عنها هؤلاء المفكرون ليست أزمة في العلم بقدر ما هي أزمة داخل أنساقهم الفكرية التي تتبنى مفاهيم ثابتة، إن التغيير الذي يحدثه التطور العلمي في بعض المفاهيم يربك المفكرين.

وبطبيعة الحال كما هو ملاحظ يعاني المشتعلين بالسوسيولوجيا تحديدا العربية هذه الأزمة. أزمة تصوراتهم الفكرية مع القضايا العلمية للسوسيولوجيا والتي هي في هذه الحالة سوسيولوجيا غربية، ما يجعل عملية النقد الابستمولوجي عسيرة، لذلك طرحت فكرة علم الاجتماع المعرفة لحلحلة الازمة.

هذا التحديد للمشكلة الابستمولوجية بكونها مشكلة علمية لا مشكلة فكرية يمكّن من تعيين بصورة أوضح معنى النقد في مهمة الابستمولوجيا، فالنقد لا يعني اقامة مشكلة فكرية بناء على قيام نظريات علمية جديدة، بل هو يعني بيان الدلالات المعرفية لتلك النظريات، ولذلك فإن تحقيق هذه المهمة يعتمد في الوقت ذاته على تحديدنا للشروط التي ينبغي أن تتوفر في الابستمولوجي لكي يقوم بالوظيفة النقدية بالمعنى المحدد مسبقا، وفي ذات السياق يضعنا جاستون باشلار أمام الحقيقة التالية: لا يمكننا أن نفكر في مهام الابستمولوجيا دون أن نأخذ بعين الاعتبار الطبيعة الخاصة للمرحلة العلمية الراهنة التي نريد أن نفكر فيها ابستمولوجيا (وقيدي، 1983، الصفحات 12-13).

وقد حدد محمد وقيدي مهمة النقد الابستمولوجي في ثلاث مراحل (وقيدي، 1983، صفحة 55):

أ. إبراز القيم الابستمولوجية التي أدى إلى بروزها إنتاج علمي قائم منذ عقود من السنوات.

ب. التوقف عن مظاهر التعطل والنكوص في الممارسة العلمية في مجال العلوم الإنسانية (ومنها علم الاجتماع) من أجل معرفة العوائق الابستمولوجية، وذلك عن طريق الكشف عن لا وعي الممارس العلمي فيها.

ج. أن يتجه النقد الابستمولوجي إلى النظرية في العلوم الإنسانية (ومنها علم الاجتماع) في العالم العربي من أجل البحث في وضعيتها وإبراز مشكلتها.

كما حدد عبد الكبير الخطيبي (2000)مهمة الناقد الابستمولوجي بعمل نقدي مزدوج، "تتمثل المهمة الاساسية للسوسيولوجيا في العلم الثالث في القيام بعمل نقدي مزدوج. كمايلي:

أ. تفكيك المفهومات الناتجة عن المعرفة السوسيولوجية والكتابة السوسيولوجية والكتابة التي كانت تتكلم باسم العالم العربي ويغلب عليهما الطابع الغربي وايديولوجيته المتمركزة على الذات.

ب. في الوقت ذاته نقد المعرفة والكتابة السوسيولوجية اللتين أنجزتهما مختلف مجتمعات العالم العربي حول ذاتها.

نقصد إذن حركة مزدوجة منسقة ترى أنها وحدها قادرة على تجاوز مجرد الاعادة والتكرار، وتفتح أمام رجال علم الاجتماع امكانية معرفة علمية أقل استلابا وأكثر تكيفا مع خصوصية الموضوع المطروح.

ويضيف الخطيبي شرحا بخصوص قوله "تفكيك المفاهيم"؟ أن هذه المفاهيم وقائع تاريخية وتأخذ بنيتها بالنسبة لتفكير خاص، وأحداث معينة في الزمان والمكان، وتندرج في كتابات لها منطقها الخاص وتنمو بالاستعارات التي يأخذها علم من أخر وحسب...، والمفاهيم الكتابات تترابط ولكن نلاحظ أنها في كل مرة تأخذ صورة نظرية (الخطيبي، 2000، صفحة 187).

وفي نفس السياق ينطلق أنور عبد المالك (2005) في معرض حديثه عن مستقبل النظرية الاجتماعية من حقيقة مفادها أن النظرية الاجتماعية غير كافية، وكذلك عدم كفاية الجهاز المفاهيمي للعلوم الاجتماعية، وتنبع عدم الكفاية تلك بدورها وفي شكلها المقابل من حقيقة التباين، أي التباين بين مجتمعات الغرب التي أسست المواد التحليلية الجوهرية للشروح المدققة للمفاهيم ولموقع النظم في مختلف فروع المعرفة وبين المجتمعات غير الغربية (عبدالمالك، 2005، صفحة 51). بمعنى أن الواقع العربي يتميز بخصوصية يختلف بها عن الواقع الغربي. فالغرب صاغ منظومته المعرفية مركزة على صورته ووفق خصوصيته وليست موجهة للعالم الآخر. ومن هنا تتأسس مشروعية النقد المفاهيمي التي طرحها أنور عبد المالك في كتابه الجدلية الاجتماعية (la dialactique sociale) على أن المفاهيم ذات طابع خصوصي تجزيئي غير عالمي. ينبغي إعادة بنائها وفق معطيات العالم الواقعي والوجود الفعلي للمجتمعات المحددة في إطار الزمان والمكان، لتكون إلى حد ما المصدر المؤسس للعالم المفاهيمي الجديد. (عبدالمالك، 2005، صفحة 63).

5.أهمية النقد الابستمولوجي:

يهدف النقد الابستمولوجي إلى إبراز ومعرفة الأسس الابستمولوجية التي ينطلق منها الإنتاج العلمي، وعوائق تقدمه في مسيرته التطورية. وكذا نقد نظريات العلم في محاولة فهم ميكانيزمات الواقع، من أجل تحديد مصداقية هذه النظريات العلمية في إعادة صياغتها للواقع المعطى الملموس إلى مفاهيم (مدى مطابقة المفاهيم المجردة للواقع الملموس)، والعودة إليه بنظرة مستقبلية تنبؤية. إذن النقد الابستمولوجي هو إبراز درجة تطور علم ما (في موضوع الحال علم الاجتماع) أو ركوده وكذلك تحليل الأزمات التي تنتابه.

وبالنسبة للناقد الابستمولوجي للسوسيولوجيا العربية أو الجزائرية على حد سواء فإن المهمة غامضة أو صعبة كما وصفها أحد الباحثين، فعلم الاجتماع العربي عموما في أزمة، أزمة وجود وأزمة اغتراب لما هو موجود، ومتأرجح بين ماضي الأنا وحاضر الآخر. ماذا يكون موقف الناقد الإبستمولوجي أمام هذه الوضعية؟

من هذه الوضعية -وضعية تعطل المعرفة السوسيولوجية في الوطن العربي نتيجة تعطل تطور الفكر العربي عن انتاجها- تبدأ مهمة الناقد العربي الأساسية فيجب الانطلاق من مبررات وجود المعرفة السوسيولوجية وشروط إنتاجها، ويقود هذا التحليل الابستمولوجي إلى الغوص في المعرفة السوسيولوجية وعن الشروط الابستمية لقيامها ومدى وعي الفكر بواقعه لإنتاجها، وبالتالي يكون هذا الفكر الوعاء المعرفي الذي يهيء للمعرفة السوسيولوجية ظروف وجودها.

نفهم من هذا كله أن الحالة الراهنة لعلم الاجتماع في العالم العربي تستوجب نقدا ابستمولوجيا للنظريات القائمة، وذلك على ضوء الواقع الاجتماعي والفكري الذي تتحرك فيه والذي يعبر عن نفس الانشغالات التي يطرحها العالم العربي على نفسه وبكل اجزائه. (حنطابلي، 2008، صفحة 32).

6.علم الاجتماع المعرفة:

نشأت سوسيولوجيا المعرفة نتيجة أزمة الفكر الحديث أو أزمة السوسيولوجيا الغربية، لتدرس الروابط الاجتماعية بين النظريات وأنماط الفكر، أي العلاقة بين المعرفة والوجود هذا من الجانب النظري أما من الجانب السوسيوتاريخي فإنها تحاول تعقب الأشكال التي اتخذتها هذه العلاقة خلال التطور الفكري للبشرية (مانهايم، 2005، صفحة 309).

وعلم اجتماع المعرفة كنظرية يهدف إلى تحليل العلاقة بين المعرفة والوجود أو الفكر والواقع الاجتماعي-التاريخي. ويمكن أن تأخذ نظرية علم اجتماع المعرفة شكلين:

أ.التحليل الامبريقي-البنائي للطرق التي بواسطتها تؤثر العلاقات الاجتماعية على الفكر.

ب.التحليل الابستمولوجي لتأثير العلاقة بين الفكر والواقع على مشكلة الصحة والصدق (الموضوعية)، فقد تعتبر نتائج الشكل الأول مقبولة دون أن يؤثر ذلك على نتائج الشكل الثاني.

وعلم الاجتماع المعرفة كبحث اجتماعي تاريخي يهدف إلى اكتشاف الأشكال التي تتخذها العلاقة بين الفكر والواقع في التطور الفكري للإنسانية. فمن المستحيل الوصول إلى حقيقة مستقلة عن قيم وأراء البشر وواقعهم الاجتماعي-التاريخي. (مانهايم، 1980، صفحة 309).

وتبرز أهمية علم اجتماع المعرفة كعلم يسمح لنا بدراسة شرطية وظرفية الفكرة، وفي نفس الوقت وبحكم أن هذا الواقع له حضورا في الفكر، ومن خلال هذا الأخير يمكن أن نلج إلى الواقع. (حنطابلي، 2008، صفحة 33).

علم الاجتماع المعرفة كما جاء في المعجم النقدي لعلم الاجتماع أن يصبح برنامجا.... يتمثل في جملة من الأسئلة والتوجهات المنهجية، غرضها دراسة المحددات الاجتماعية للمعرفة ولاسيما المعرفة العلمية...، إن علم الاجتماع المعرفة يريد أن يضع تحت ولايته محددات المعتقدات والإيديولوجيات وكذلك المعرفة. (وف.بوريلو، 1986، صفحة 529).

إذن القضية الأساسية المطروحة في علم الاجتماع هو أنه بمعونة علم الاجتماع المعرفة يمكن الوصول إلى الحقيقة المثلى والذي يبدأ بالافتراض بأن الباحث في قضايا المجتمع والتاريخ، مهما كان موضوعيا في أهدافه، سيتبين بمعونة علم الاجتماع المعرفة بأن جميع وجهات النظر بما فيها وجهات نظر الباحث نفسه جزئية وناقصة، أي من جانب واحد. (مانهايم، 1980، صفحة 19).

يقول تالكوت بارسونز في مقاله المعنون بمقالات في النظرية السوسيولوجية، إن على الناقد أن يحاول قدر المستطاع رؤية عمل المؤلف من خلال الظرف الثقافي والإرث الفكري والاجتماعي الذي خرجت منه، هذه واحدة من أفضل طرق الحماية ضد المغالطات الشائعة... (الوردي، 2018، الصفحات 25-26). فالفكر كما يقول جون ديوي فرع من الفعل الإنساني، يميل مثل أي فعل أخر، إلى اتباع قواعد محددة من قبل المجتمع (الوردي، 2018، صفحة 36).

وقد اقبل الاهتمام المتأخر نوعا ما بعلم اجتماع المعرفة، شاهدا لا يدحض على ضرورة ارتباط المعرفة ككيان ذهني يتمتع بعناصر مستقلة وثابتة بالمسار الاجتماعي العام. فمعرفة (المعرفة) أي معرفة مدى ارتباط أشكالها بالإطار الاجتماعي، وهي مهمة علم اجتماع الرئيسية، ومن ثمة ملاحظة الواقع ودراسة خصوصياته على الصعيد المعرفي، تؤدي بنا حتما إلى تحديد معالم علم اجتماع عربي، يتلاءم مع المعطيات العربية بصفة عامة. أنها تتكون من مجموعة الاحكام والافكار والتصورات التي تحكم أذهان مجموعة بشرية وعدة مجموعات بشرية، تعيش في اطار اقتصادي وسياسي محدد، ومهمة علم اجتماع المعرفة هي دراسة جميع الترابطات الممكنة والمعبرة بين بعض أو جميع هذه المستويات. (شكري، 1989، صفحة 94).

فمهم جدا الاهتمام بما بات يعرف بعلم اجتماع المعرفة أي إخضاع العلوم الاجتماعية (علم الاجتماع) للدراسة العلمية وللنقد، ذلك أن بنية المنظمات التي تنتج هذه العلوم هي بنية

اجتماعية ذات تفاعل داخلي خاص بها، كما يوجد لها من ناحية أخرى ترابط وتفاعل خارجي مع سائر المنظمات في المجتمع. غير أن ما ضاعف الاهتمام بعلم اجتماع المعرفة هو ما لوحظ من تأثير المؤسسات العلمية العالمية الكبرى على المؤسسات المنتجة للمعرفة في مجتمعات الدول النامية ومنها العربية بطبيعة الحال.

وقد تكاثرت البحوث في هذا الحقل المعرفي منذ أن نشرت أعمال المفكر الهنغاري (جيرورغي لوكاش. 1885-1917)، و(كارل مانهايم. 1959)، و(ميشال فوكو، 1977)، و(ادوار سعيد، 1978). وركزوا على ضرورة اعادة الاعتبار لمناهج معرفية بديلة، تستلهم الثقافات المحلية، وتطور نماذج محلية مستقلة عن المراكز العالمية. (التيجاني، 2021، الصفحات 209-210).

7.خاتمة:

النظام الفكري العربي المتعلق بالسوسيولوجيا غير قادر على طرح سؤال الواقع والراهن، نتيجة العجز على مستوى التنظير الابستمولوجي. وإذا كانت مهمة النقد الابستمولوجي هو إبراز درجة تطور علم ما (في موضوع الحال علم الاجتماع) أو ركوده وكذلك تحليل الأزمات التي تنتابه فإن مهمة الناقد الابستمولوجي للسوسيولوجيا العربية مهمة غامضة أو صعبة.

من هذه الوضعية -وضعية تعطل المعرفة السوسيولوجية في الوطن العربي نتيجة تعطل تطور الفكر العربي عن انتاجها- تبدأ مهمة الناقد العربي الأساسية فيجب الانطلاق من مبررات وجود المعرفة السوسيولوجية وشروط إنتاجها، ويقود هذا التحليل الابستمولوجي إلى الغوص في المعرفة السوسيولوجية وعن الشروط الابستمية لقيامها ومدى وعي الفكر بواقعه لإنتاجها، وبالتالي يكون هذا الفكر الوعاء المعرفي الذي يهيئ للمعرفة السوسيولوجية ظروف وجودها.

وقد طرحت قضية علم اجتماع المعرفة كمقاربة لتوجيه المعرفة السوسيولوجية العربية نحو مآلات وأهداف مرتبطة بعناصر مستقلة وثابتة بمسارها الاجتماعي. وهي المهمة المنشودة للسوسيولوجيا العربية. والتي تقع على عاتق المنشغلين بالسوسيولوجيا في الوطن العربي وخاصة منهم الاساتذة الباحثون في المؤسسات الاكاديمية العربية.

قائمة المراجع:

1.أنور. عبد المالك. (2005). *الجدلية الاجتماعية*. ترجمة سامية الجندي وعبد العظيم حماد، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

2.التيجاني. عبد القادر حامد. (2021). *أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي*. ط1. قطر: مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية. تاريخ الاطلاع 2021/01/12. من:

http://www.qu.edu.qa/ar/research/IbnKhaldon/research/Publications

3.أسماء حسين. ملكاوي. (2021). *أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي: المظاهر والآفاق*. ط1. قطر: مركز ابن خلدون للعلوم الانسانية والاجتماعية. تاريخ الاطلاع 2021/01/12. من:

http://www.qu.edu.qa/ar/research/IbnKhaldon/research/Publications

4. عنصر. العياشي. (2003). *نحو علم اجتماع نقدي: دراسات نظرية وتطبيقية*، ط2، بن عكنون-الجزئر: ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية.

5.-جاستون. بوتول.(د.ت). *تاريخ علم الاجتماع*، ترجمة غنيم عبدون، مطابع الدار القومية للطباعة والنشر.

6. يوسف. حنطابلي. (2008). *إشكالية السؤال السوسيولوجي في الفكر العربي المعاصر: الواقع العربي بين ماضي الانا وحاضر الاخر: دراسة تحليلية نقدية*. (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة يوسف بن خدة: الجزائر.

7. كارل. مانهايم. (1980). *الايديولوجيا واليوتوبيا: مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة*، ترجمة محمد رجا الديريني، الكويت: المكتبات الكويتية.

8.محمد. جاسوس. (2003). *رهانات الفكر السوسيولوجي بالمغرب*. ط1. المغرب- الرباط: مطبعة دار المناهل.

9.محمد. وقيدي. (1983). *النقد الابستمولوجي* : ضرورته ومستوياته، مجلة دراسات عربية، العدد10.

10.محمد. وقيدي. (1983). *ماهي الابستمولوجيا*، ط1، لبنان-بيروت: دار الحداثة.

11.عبد الكبير. الخطيبي. (2000). *النقد المزدوج*. لمغرب- الرباط: مطابع منشورات عكاظ.

12.محمد. عابد. الجابري (1994). *مدخل إلى فلسفة العلوم: العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي*. ط3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

13.محمد عزت. حجازي (1989). *الازمة الراهنة لعلم الاجتماع في الوطن العربي*، نحو علم اجتماع عربي، ط2، لبنان-بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1989.

14.ناصر. معارك. (2017). *ابستمولوجية علم الاجتماع المعرفي عند كارل مانهايم*. مجلة الباحث الاجتماعي. عدد13.

15-.علي. الوردي. (2018). *في علم اجتماع المعرفة*، ترجمة لاهاي عبد الحسين، ط1. دار المدى للإعلام والثقافة والفنون.

16-علي. الكنز. (1989). *المسالة النظرية والسياسية لعلم الاجتماع العربي*، نحو علم اجتماع عربي، ط2، لبنان-بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

17.عبد العزيز. العيادي. (1994). *ميشال فوكو المعرفة والسلطة*، ط1. لبنان-بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع.

18.سفير. ناجي. (د.ت). *محاولات في التحليل الاجتماعي*. بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية.

19.ر.بودون. و ف.بوريلو. (1986). *المعجم النقدي لعلم الاجتماع*. ترجمة سليم حداد، ط1، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

20. غالي. شكري. (1989). *من الاشكاليات المنهجية في الطريق العربي إلى علم اجتماع المعرفة*، نحو علم اجتماع عربي. ط2، بيروت-لبنان: مكتب دراسا